

قَبَسٌ من نور



كيف يُغلق الإنسان أبواب السماء بيديه؟

■ الأستاذ: أحمد باقر الطويل

■ قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

ليست هذه الآية تقريراً لعقوبة مؤجلة فحسب، بل كشفاً دقيقاً لحقيقة نفسية ووجودية: الإنسان الذي يستحكم فيه الاستكبار يغلق الطريق إلى القرب من الله ليس لأن الرحمة أغلقت، بل لأن القلب فقد قابليته لها.

في الحديث النبوي الشريف، عرّف الكبر بأنه: "الكبر بظُرِ الحق وغمطِ الناس" (رواه مسلم وأبو داود). الاستكبار إذا ليس مجرد شعور، بل موقف معرفي وأخلاقي يرفض الحق حين يأتي من غير الذات. وفي منطق أهل البيت عليه السلام، الاستكبار هو أصل الانفصال عن الله، كما تجلّى في حالة إبليس، الذي كان عبدالله لكنه رفض الانكسار قائلاً: "أنا خيرٌ منه".

يؤكد الإمام الصادق عليه السلام: "ما من عبد إلا وفي رأسه حكمة، وملك يمسكه، فإذا تكبر قال له: اتضع وضعك الله، فلا يزال أعظم الناس في نفسه وأصغر الناس في أعين الناس". الاستكبار إذا يغلق باب الرجوع، ويحوّل العقل إلى أداة دفاع عن الأنا بدل أن يكون أداة بحث عن الحقيقة.

أما "بواب السماء" فهي ليست مكاناً، بل مقام قبول إلهي. يقول الإمام الباقر عليه السلام: "لا يُقبل عمل إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل". فالسماء تُفتح لمن أزال حواجز الكبر من قلبه، والدعاء الصادق يصل إلى الله حين يتواضع القلب. وما يُغلق ليس الباب، بل الاستعداد الداخلي.

الجنة ليست مكاناً فحسب، بل حالة وجودية. تعبیر "حتى يلج الجمل في سمّ الخياط" يُظهر استحالة القبول لمن لم يهَيئ قلبه، ليس لأن المسافة بعيدة، بل لأن الداخل غير مؤهل للانكسار والتلقياد للحق.

الجزء الأخرى في الرؤية الإمامية ليس قراراً منفصلاً عن الذات، بل انعكاس لما استقر في القلب: كل إنسان يُحشر على صورته الباطنية. ومن اعتاد رفض الحق أو التعالي على الآخرين، لا يحتمل مقام القرب يوم القيامة.

■ كيف نفتح أنفسنا لفتح أبواب السماء؟

التواضع هو المفتاح. حين يعود الإنسان إلى موقعه الحقيقي: عبداً لا نداً، طالباً لا مستغنياً، يفتح قلبه للحق مهما جاء من غير أحبائه. الانكسار أمام الحق، العمل الصادق، والخضوع لله، كلها مفاتيح لفتح أبواب السماء. فالعلم والخبرة يقودان إلى العمل، واليقين يتحول إلى خشية، والطاعة إلى حب، فتُفتح أبواب القرب بطريقة طبيعية، وليس بعقوبة مفروضة. اللهم طهر قلوبنا من الكبر، وعلمنا الانكسار بين يديك، وافتح لنا أبواب سمائك بقلوب خاشعة وأرواح تعرف قدرها بين يديك.

■ مقالة

لا تهمل القلم

إلى طلاب العلم في طريق الحقيقة

■ رئيس التحرير

⚠️ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها



■ اربط قلمك بقلبك

تعلّم أن تكتب بقلبك قبل يدك. الكتابة الجافة ميتة، كما أنّ القلب الصامت مظلم. الكاتب الحقيقي يكتب من القلب وللقلب؛ لا بحثاً عن مدح أو شهرة، بل طاعةً للصدق نفسه. طالب العلم حين يكتب بإخلاص، فإنّ كلماته تصبح مرايا تعكس صفاء نيّته وإيمانه. ربّ جملة صغيرة من قلب صادق، تهزّ وجدان قاري بعيد، وتوقّظ فيه نور الفطرة. دع قلمك يشهد على إيمانك وسعيك، لعلّ كلمتك تُوقّظ نفساً في طريق الله بعد رحيلك.

■ كل كلمة نواة إيمان

في عيون العارفين، الكلمة بذرة، والقلب أرض. اكتب لتزرع الأمل حيث الجفاف، واكتب لتثمر من علمك خيراً للأرواح. قد تظنّ أن كتابك صغير، لكنه قد يكون فطرة الضوء التي تفتح باب الهداية لقلب واحد، فيكون أئمن من مجلدات صامتة. سيأتي يوم يقرأ إنسانٌ بعيد كلماتك، فيجد فيها أنساً وهداية.

تلك مكافأة الكاتب المؤمن، الذي كتب لله لا للمجد.

■ كلمة الختام

لا تتوقف عن الكتابة، حتى لو لم يقرأ أحد أعمالك. فإنّ الكتابة قبل أن تكون رسالةً للناس، هي عهدٌ بينك وبين نفسك أن تبقى حياً في طريق المعرفة. القلم رفيقك في الليل الطويل، وصديقك في الحيرة، ووصيّتك إلى الأجيال القادمة. أيّها الطالب الساعي إلى النور، اكتب لتُخلّد علمك، ولتترك أثرك في سجلّ الفكر الإسلامي المعاصر. اكتب، فإنّ كلماتك تحيي الحياة في القلوب، وإنّ كلّ سطرٍ صادقٍ منك هو شعلةٌ جديدة في درب الحقيقة. الكتابة استمرارٌ الوجود بالحق. فلا تهمل القلم، فإنّ نورك يمتدّ به إلى ما بعد حدود الوقت.

■ لا تهمل القلم، فهو أنفاسُ الرّوح في ثوب الكلمة

الكتابة ليست مجرد ترتيبٍ للحروف أو زخرفةٍ لل عبارات؛ إنّها حياةٌ المعنى حين يجد لساناً ينطق به. كل كلمة تولد من قلب صادق هي نبضةٌ روحٍ تبحر عن الخلود.

القلم ليس أداةً جامدة، بل جسرٌ بين الإنسان والحقيقة، بين المعرفة والبلاغ، بين الفكر والالتزام. وأيُّ رسالةٍ أرفع من هذه لطلاب العلم وأهل الفضيلة، الذين نذروا أنفسهم لخدمة الحقّ وهداية الخلق؟

■ القلم أمانةٌ سماوية واستمرارٌ للتعليم النبوي

كلّ مرّة يكتب فيها طالبٌ علم كلمة، فإنّه يسير في خطٍّ مستقيمٍ انطلق منذ فجر الرسالة بكلمة: «اقرأ»

إنّ الكتابة لأهل العلم ليست فناً وحسب، بل عبادةً عقليةً يتواصل بها ميراث الأنبياء عبر الزمن. العالم إذا لم يكتب، أبقى علمه حبيس صدره، والعلم المحبوس لا يثمر. كالنور المخبأ تحت رماد الصمت. ألم يُقسم الله بالقلم؟ ذلك القسم العظيم شاهد على أنّ القلم حارث الفكر، وضمانٌ الخلود للمعرفة.

إذا غاب القلم، فترى الأفكار تموت، وإذا ماتت الأفكار، ساد الليل على الأمة.

■ الكتابة ميدانُ الجهاد العلمي والأخلاقي

لطالما كانت الحوزات العلمية منبع الفكر والبصيرة، ولكنّ الفكر إن لم يُدوّن، تاه واندرث. الكلمة المكتوبة تُقشّ خالداً في صفحات الوعي الإنساني، تتجاوز حدود الزمان.

الطالب الذي يكتب هو مجاهدٌ في ميدان البيان، سلاحه القلم وكفاحه ضدّ الجهل والغفلة. الكتابة تدريبٌ على الحضور، على التبحر، على إعادة صياغة الفهم.

كلّ سطرٍ يكتب هو معركةٌ صغيرة ينتصر فيها النور على الظلام.

■ الكتابة مسؤوليةٌ أمام العلم والإيمان

إذا كانت المعرفة بذرة، فالكتابة هي التربة التي تحتضنها حتى تثمر.

طلاب العلم مأمورون بتحويل المعرفة إلى فهم عميق، والفهم إلى هداية ناعمة، ولن يتحقّق ذلك إلا بالقلم.

الكتابة جوابٌ العقل على نداء الأمانة الإلهية: «بلغوا عمّا تعلّمتم»

وربّ سطرٍ بسيطٍ يكتب اليوم، يفتح غداً طريقاً لأجيالٍ بأكملها.

إنّها لحظةٌ صفاءٍ يحدث فيها الإنسان نفسه بما فهم واعتقد، فيكتشف أنه لا يدرك ما يعلم إلا حين

■ تعريف بالمراكز والمؤسسات الدينية الشيعية

مركز "المهدي" الإسلامي

مركز "المهدي" الإسلامي هو مؤسسة شيعية تقع في جمهورية هايتي. ويُعدّ الشيعية في هايتي أقلية صغيرة ضمن أغلبية مسيحية. وبعد سنوات من نشاط هذا المركز، يوجد حالياً في هايتي تسعة تنظيمات شيعية مختلفة تضم أكثر من ٣٠٠ عضو.

■ نبذة تاريخية

تأسس المركز الإسلامي المهدي في سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠٠ على يد معلم يُدعى الأخ شعيب، وذلك في منزل مكون من أربع غرف مع فناء صغير جداً. وبدأ المركز نشاطه بمدرسة مجانية للأطفال. ومع توسّع أنشطته، انتقل المركز إلى

■ مصطلح الأسبوع

الذاتي لا يُعلّل

وجود تلك الذات نفسها. فالذاتي في باب البرهان أعمّ من الذاتي في باب الكليات، إذ يشمل كل ما لا يمكن تخلفه عن الذات، سواء كان داخلياً في حقيقتها أو كان محمولاً لازماً لها لزوماً



مصطلح الأسبوع

■ القاعدة المنطقية «الذاتي لا يُعلّل» تعني أن ما كان ذاتياً للشيء، سواء كان جزءاً مقوّماً للماهية أو لازماً ناشئاً من مقام الذات، لا يحتاج في ثبوته إلى علة مستقلة عن علة

علماء وأعلام

أبو المعالي الكلباسي رحمته الله



■ مولده ونسبه

وُلِد أبو المعالي الكلباسي في السابع من شهر شعبان سنة ١٢٤٧هـ في أصفهان. كان والده محمد إبراهيم الكلباسي المعروف بحاجي كلباسي (ت ١٢٦١هـ)، وهو مؤلف كتابي "إشارات الأصول" و "منهاج الهداية"، وينتهي نسبه إلى مالك الأشر الثّغعي. وقد عُرف أبو المعالي بالمواظبة على قيام الليل، والزهد، وتعظيم السادة، وكان يُقدّم التلامذة السادة على نفسه عند الدخول والخروج. كما كان يخدم في مجالس العزاء في ليالي وأيام عاشوراء، وكذلك في ليالي وأيام الثامن والعشرين من صفر، ذكرى وفاة النبي الأعظم عليه السلام.

■ أساتذته

تتلمذ أبو المعالي الكلباسي على يد السيد محمد الشّهشهاني (ت ١٢٨٧هـ)، والسيد حسن المدرّس الأصفهاني (ت ١٢٧٣هـ). وهو من علماء أصول الفقه. كما عُذ السيد محمد باقر الدهكردي، نجل السيد أبي القاسم الدهكردي، من أساتذته. وذكر مؤلف مقدمة كتاب الرسائل الرجالية أساتذاً له باسم أمير محمد صادق، وقد احتمل بعض الباحثين أن يكون المقصود هو السيد حسن المدرس الأصفهاني نفسه؛ إذ إن أسرته كانت تُعرف قبل اشتهارها بلقب "المدرّس" باسم "ميرمحمد صادقي".

■ تلامذته

اشتغل الميرزا أبو المعالي بالتدريس في أصفهان ما بين سنتي ١٢٧٥ و١٣١٥هـ، قرابة أربعين عاماً، وقد وُصف عدد تلامذته بالكثرة. وذكر مؤلف كتاب "مشاهير مزار ميرزا أبو المعالي كلباسي" نحو أربعين عالماً شيعيّاً من تلامذته، ومن أبرزهم:

آية الله البروجردي، أبو الهدى الكلباسي (ابنه)، جمال الدين الكلباسي (ابنه)، آقا ضياء العراقي، محمد حسين الغروي النائيني، السيد أبو القاسم الدهكردي، حسن علي النخودكي الأصفهاني، ورحيم أرباب _ قدس الله أسرارهم _.

■ آثاره

ألف الكلباسي أكثر من ثمانين رسالة وكتاباً في علوم الرجال، وأصول الفقه، والفقه، والكلام، والتفسير، والحديث، واللغة العربية، وشرح الأنعية والمناجيات الواردة عن المعصومين عليهم السلام وقد طبع نحو نصف هذه المؤلفات. ومن أهمها: الرسائل الرجالية، رسائل المحقق الكلباسي، الاستشفاء بالتربة الشريفة الحسينية، شرح على زيارة عاشوراء، والزيارة الجامعة، وخطبة الشقشقية.

■ وفاته

توفي الكلباسي في السابع والعشرين من شهر صفر سنة ١٣١٥هـ عن عمر ناهز سبعة وستين عاماً في أصفهان، ودفن قرب قبر جده محمد حسن بن محمد قاسم الكلباسي الأصفهاني في أطراف مقبرة تخت فولاد. ومع توسعة المقبرة، أصبح موضع قبره جزءاً من مقبرة تخت فولاد.

